حسن موسى الصفار

حياة الأئمة والتاريخ المزيف!

مؤسسة الوفاء

حيـــــاة الأئمـــة
والتاريـــخ المزيّـــف !

حسن موسى الصفار

حياة الأئمة والتاريخ المزيف!

مؤسسة الوفاء

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م الطبعة الثانية

مؤسسة الوفاء - بيروت ص . ب . : ١٤٥٧ - هاتف : ٣٨٦٨٦٨

بســـم الله الرحمن الرحيـــم

﴿الَّذِيَنَ يُبَلِغوُنَ رسالاتُ الله وَيَخْشَوْنَهُ وَلاَيَخْشَوْنَ أَحَداً إِلاَّ الله وَكَفَىٰ بِآلله حَسِيباً﴾

صدق الله العلي العظيم

[سورة الأحزاب - ٣٩ -]

امتنا الاسلامية وهي تتحسس ألم الواقع ، فتطمح الى سعادة المستقبل ، لا بد لها من العودة الى منابع دينها ، ومصادر ثقافتها ، لتستلم منها روح الحركة والنشاط ، ولتقتبس منها نور العلم والمعرفة ، ولتتزود منها بوقود التضحية والصمود . . .

ولكن ما هي المنابع الأصيلة والمصادر الرئيسية لديننا ورسالتنا ؟ . . .

انهما منبعان صافيان ومصدران عظيمان :

القرآن الحكيم : كتاب الله .

والأئمة القادة : عترة رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم) .

وعن طريق الأئمة من أهل البيت « عليه السلام » يصلنا هدي الرسول الأعظم (ص) ونتعرف على سيرته وحياته .

وقد حدد الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم) بنفسه هذين المصدرين كمرجع رسالي للأمة عليها ان لا تعداهما حيث قال في الحديث المشهور المتواتر: « اني مخلف فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا ابداً وانهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض »[1] .

فالقرآن الكريم فيه الهدى والنور ، والأئمة الطاهرون هم المشاعل التي تجسد فيها نور القرآن ، والنماذج التي توفر فيها هداه . . .

وبذلك فالقرآن أمام على الصعيد النظري العلمي ، كما عبر سبحانه عن كتاب نبيه موسى : (عليه السلام) : ﴿ ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة﴾[2] .

والأئمة قرآن على مستوى التطبيق والممارسة . ويروى عن امير المؤمنين (عليه السلام) انه قال : انا كتاب الله الناطق . . .

---

(١) المراجعات للامام شرف الدين (قده)

(٢) الاحقاف ـ ١٢ ـ

ولأن مهمة القرآن ومهمة العترة مهمة واحدة وهي هداية الانسان واسعاده ، فقد وصفت بعض النصوص المروية الامام بأنه شريك القرآن .

وكما اساءت الأمة في عصور التخلف التعامل مع القرآن كذلك اساءت التعامل مع تاريخ الأئمة وحياتهم ، وكان ذلك سبب تخلفها وانحطاطها وشقائها .

اتخذوا القرآن مهجوراً :

فقد كانت الأمة منذ عهود التخلف ولا تزال تتعامل مع القرآن وكأنه كتاب بركة وثواب ، ولا تدخل له في شؤون الحياة . . وكان الاهتمام منصباً على الفاظ القرآن وأبعادها البلاغية وطرق مخارج الحروف ، وتنوع القراءات واذا بالتفاسير تنبش اصول الكلمات ، وتحول القرآن ـ حيناً ـ الى ملعب مباراة في علوم الصرف والنحو والفقه واللغة . وحيناً الى ساحة معركة بين سيبويه ونفطويه والاخفش وابن العصفور واذا تجاوز التفسير كشفيّات (الكشّاف) في اللغة ، وقع في وهميات (الرازي) في الفلسفة !!

وجاء المفسرون الجدد يجعلون القرآن كتاب علوم ، ومرجع اكتشافات ، ويستنبطون من كل لفظة في القرآن مفتاح علم من العلوم !!

القــرآن : كتاب رسالة . . .

كتاب حياة . . .

كتاب الانسان . . .

فأين تذهبون ؟ .

ولكن القشريين لا يفهمون !

انهم اتخذوا القرآن رسماً ولم يعرفوا انه لغة الحقائق ، **﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب اقفالها ﴾** .

واذا اهتدى واحد منهم سبيلاً لفهم القرآن أراد أن يفهم منه الآيات التي تكرّس مصالحه في الحياة أولاً أقل لا تعارضها ، وترك سائر الآيات ، أو أولها حسبما شاءت اهواؤه . وبذلك نتج الفهم التجزيئي للقرآن الحكيم ،

ذلك الأمر الذي عارضه القرآن بشدة ، واوعد القائمين به أشد العذاب وقال : ﴿ **الذين جعلوا القرآن عضين . فوربك لنسئلنهم اجمعين**﴾[1] . اذا اراد التجزيئي فهم آية اقتطعها من سياقها ، وأراد ان يفهمها لوحدها ، وذلك لكي تكون له مطلق الحرية في التأويل فيما اذا عارضت اهواءه[2] . . .

علاقاتنا مع الأئمة :

هكذا تتعامل الأمة مع القرآن الحكيم المنبع الأعظم ، والمصدر الأول من مصادر ثقافتها ورسالتها (ولسنا الآن بصدد التفصيل في الحديث عن هذا الموضوع) فكيف تتعامل مع الثقل الثاني عترة الرسول (صلى الله عليه وآله) ائمة أهل البيت ؟ .

لا يسعنا ان ننكر ان هناك ارتباطاً وثيقاً بين فئة كبيرة من جماهير الأمة وبين العترة الطاهرة . . .

---

(١) الحجر ـ ٩١ ـ

(٢) الثقافة الرسالية ـ ٥٣ ـ

فقوافل الزائرين تتوالى بكثافة على مراقد ائمة أهل البيت (عليهم السلام) . . .

واقبال جماهيري منقطع النظير على احتفالات مواليد الأئمة ومناسبات وفياتهم واستشهادهم . . .

وجهود كبيرة واهتمامات متزايدة تنفق بأسم الأئمة وللاحتفاء بذكرياتهم . . .

هذه المظاهر موجودة ومتوفرة ولا سبيل الى انكارها ولكن يجب ان نتساءل : هل هذه المظاهر هي كل شيء ينبغي ان يكون في علاقاتنا بالأئمة ولا شيء بعد ذلك ؟ ام ان هذه المظاهر لها هدف آخر وغرض ثانٍ تقوم هي بمهمة تعميقه وتكريسه في واقع حياتنا ؟ .

وبعبارة اخرى :

هل هذه المظاهر من الاحتفالات والعزاء والزيارات ، والانفاق والبذل ، هي الغاية المطلوبة لعلاقتنا مع الأئمة أم انها وسيلة لتحقيق هدف آخر اسمى واعمق من هذه المظاهر ؟

من المؤلم ان نعترف ان هذه المظاهر تحولت الى هدف

مقدس عند كثير من المهتمين بها بدل ان تكون وسيلة . . . شأنها في ذلك شأن اغلب العبادات والشعائر الاسلامية ، التي لا تعدو في اعتبار الاسلام ان تكون وسيلة لاهداف عالية ولكنها تحولت الى اهداف مزيفة بينما ضاعت الاهداف الحقيقية !!!

وكان يجب ان تكون هذه الأمور مجرد وسائل تقودنا الى الهدف المقصود من ارتباطنا بالأئمة (عليهم السلام) والذي هو التعرف الكامل على حياتهم وسيرتهم وسلوكهم من اجل تقمص شخصياتهم والاقتداء بهم ، والاهتداء بهديهم .

ولكننا حينما اتخذنا الوسيلة هدفاً ضيعنا الهدف الحقيقي ، وبالتالي فقد ضيعنا انفسنا ، حيث لم نحسن التعامل مع المصدر الثاني للاسلام ولم نعرف كيف نستفيد من الثقل الآخر للرسالة !!

فأصبحنا نقدس زيارة الائمة من أجل رؤية قبورهم ، ومشاهدة روعة اضرحتهم ، وضخامة قببهم ، وننظر ان يثيبنا الله على هذه الزيارة السياحية !!!

وصار عزاءالأئمة عندنا مجالاً للعزاء والرثاء واستدرار

الدموع فقط دون ان يتفاعل ذلك مع احداث حياتنا أو يؤثر في واقعنا الفردي والاجتماعي !!

ونتيجة لذلك لم نعد نعرف الائمة معرفة حقيقية (اي معرفة صحيحة وكاملة) مع انها شرط أولي واساسي لنجاح وقبول أي عمل تقديسي نقوم به للأئمة (عليهم السلام) فقد ورد في الحديث المشهور حول زيارة الامام الحسين (عليه السلام) : من زار الحسين عارفاً بحقه . . .

واذا لم تتوفر لجماهير الأمة المعرفة الحقيقية الكاملة لحياة الأئمة . وسيرتهم ، فهل سيمكنها الاقتداء بالأئمة والاهتداء بتعاليمهم ؟

صحيح ان هناك كتباً وهناك خطباء يحاولون تعاريف حياة الأئمة للجماهير ، ولكن هذه المحاولات غالباً ما تصدق عليها الملاحظات التالية :

أين دور الائمة :

أولاً : انها تركز على الجانب الشخصي من حياة الامام ، بينما تهمل الجانب الاجتماعي ، فقد تستمع الى

خطيب ينقلك الى معركة محتدمة بين المؤرخين حول تحديد يوم ولادة الامام أو يوم وفاته !!

وقد تقرأ كتاباً يثير أمامك الخلاف والجدل حول نقش خاتم الامام أو عدد زوجاته وأولاده !!

وأذكر مرة قبل بضع سنوات استمعت الى خطيب كبير وهو يحاضر في اجتماع ضخم ليلة الثامن من المحرم فكان موضوع خطابته والذي استمر لمدة ساعة كاملة حول مناقشة قضية زواج القاسم بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ع) وهو احد شهداء ثورة الامام الحسين (عليه السلام) حيث اجهد الخطيب نفسه وعرض مختلف الأدلة العقلية والتاريخية لأثبات كذب الرواية القائلة بأن القاسم قد تزوج يوم عاشوراء !!

ثم ذهبنا الى مجلس خطيب آخر لا يقل عن الأول مكانة وشهرة وكثرة اجتماع ، فكانت محاضرته تدور حول اثبات زواج القاسم بن الحسن في يوم كربلاء وتأكيد ذلك بمختلف الأدلة الشرعية والتاريخية !!!

وقد يتجاوزون هذا المستوى الى الحديث عن عبادة الامام زهده وعلمه فقط . . .

ومع احترامنا وتقديرنا لكل ما يتعلق بحياة الأئمة وسيرتهم ولكنا نعتقد انّ الأهم من ذلك هو الحديث عن مواقف الأئمة السياسية ودورهم الاجتماعي .

فالأئمة ما كانوا يعيشون في صحارٍ نائية ولا على ابراج عاجية ، ولا في عزلة في جماهير الأمة . . بل كانوا يعيشون في امة كانت حياتها تعج بالأحداث والحركات والتقلبات السياسية والاجتماعية .

كانت هناك في عصر الأئمة حكومات تقوم ، وسلطات تسقط ، وثورات تنجح ، وانتفاضات تقمع ، وتيارات تسود ، وافكار تنتشر . . .

كان هناك واقع سياسي واجتماعي يعيشه الناس تستفيد من ذلك الواقع فئة فتهب لحمايته والمحافظة عليه ، فتتضرّر منه فئة اخرى فتسعى لتغييره والثورة عليه . . .

فما هو موقف الأئمة من كل ذلك ؟ .

اكانوا رهباناً منعزلين عن واقع الأمة واحداث العالم ؟ .

ام كانت لهم ادوار ومواقف يجب ان نبحث عنها

ونتعرف عليها لنستفيد منها ؟ .

واذا كان الجواب الاول يشكل تهمة بشعة لا تتفق مع مسؤولية الأئمة ومكانتهم . . فان الجواب الثاني هو الصحيح . ولكن ماذا نعرف نحن عن دور كل امام ومواقفه تجاه احداث عصره ، وقضايا مجتمعه ؟؟ .

ولماذا اغفلنا الاهتمام بهذا الجانب المهم من حياة الأئمة ووجهنا اهتماماتنا الى الجوانب الشخصية من حياتهم ؟ .

لعل السبب في ذلك هو واقعنا المؤسف كمؤمنين ومتدينين اخترنا لأنفسنا و العزلة عن قضايا المجتمع ومشاكله ، والتفرج على ما يحدث في هذا العالم ، متقبلين لما يصيبنا من نتائج هذه القضايا والاحداث . . مرددين ـ بسوء فهم ـ قوله تعالى :

﴿ قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا ﴾ !!

ومستشهدين بالحديث القائل : « كن في الفتنة كأبن اللبون لاظهر فيركب ولا ضرع فيحلب » ، ،

ومتسلين بقول الشاعر :

دع الأيـام تـفـعـل مـا تـشـاء
وطب نفساً بما فعـل القضـاء !!

وحيث انّا نعيش هذه الحالة ، فإن الحديث عن دور الأئمة الاجتماعي ومواقفهم السياسية ، سيكشفنا امام أنفسنا ، وسيظهر انحرافنا عن خط الأئمة ، وتناقض حياتنا وسلوكنا مع حياتهم وسلوكهم . . فصار من الأفضل لنا أن نغض الطرف عن هذه الجوانب من حياة الأئمة . . . لنستمر في التعايش والانسجام مع هذا الواقع الفاسد برضى وارتياح !!

الأئمة بشر للاقتداء . . .

ثانياً : والسمة الثانية من سمات العرض المشوه الناقص لحياة الأئمة وتاريخهم : اضفاء الطابع الغيبي والاعجازي على أغلب حركات الأئمة وتصرفاتهم !!!

فالأئمة كالأنبياء بشر مثلنا لهم كفاءات البشر وطاقاته

وغرائزه وعواطفه وامكانياته الجسمية والذهنية ، ولكنهم انتخبوا من قبل السماء كقادة وهادين وائمة للناس ، لتفوقهم على سائر الناس بالاخلاص لله والجهاد في سبيله بمعرفة ويقين ثابت . . فالانتخاب لم يكن عبثياً أو عشوائياً وبدون مقاييس ومبررات صحيحة يقول تعالى : ﴿ **وجعلنا منهم ائمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون**﴾[1]

ولضخامة هذه المسؤولية - مسؤولية قيادة المجتمع البشري - ولأنهم ارتفعوا بأنفسهم الى مستوى المسؤولية بالمعرفة والطاعة والخضوع لله تعالى ، فقد كان الله سبحانه يمدهم بالعون والتأييد ويكشف لهم المغيبات ، ويعطيهم القدرة على التصرف في الكون تصرفاً اعجازياً يخرج عن امكان البشر ، وقدرة الانسان ، وكل ذلك يخضع لارادة الله ومشيئته وحكمته .

فحينما طلب المشركون من الرسول محمد (صلى الله عليه وآله و صحبه) ، ان يصنع معجزات خارقة ، وان يحدث تصرفات غيبية ، حسبما يريدون ، امره الله تعالى

---

(١) السجدة - ٢٤ -

ان يجيبهم بأن ذلك يرتبط بارادة الله وحكمته ، وليس الرسول سوى بشر محدود القدرة والتصرف إلا باذن الله يقول تعالى :

﴿ وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً !

أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا !

أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً !

أو يكون لك بيت من زخرف !

أو ترقى في السماء !

ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه!

قل : سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً ﴾[1] !

وهكذا كان يرد كل الأنبياء على تصورات الناس الخاطئة بأن النبي يجب ان يكون من طبيعة اخرى غير

---

(١) الاسراء ٩٠ ـ ٩٣

طبيعة البشر ، ونوع حياته لا بد ان تختلف عن حياة البشر : (و قالوا ما لهذا النبي يأكل الطعام)

ان الله تعالى بحكمته ان يكوّن الانبياء والأئمة من جنس البشر وطبيعتهم ، ليكونوا حجة عليهم وقدوات لهم . . .

ولكن التصورات البشرية الطفولية كانت تصر على ان يكون النبي في طبيعة اخرى يتحرك بالمعجزة ويعيش بالطرق الغيبية . . فكان جواب الأنبياء في مقابل هذه التصورات ما يحكيه تعالى في القرآن الحكيم :

﴿ قالت لهم رسلهم : ان نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده ، وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بأذن الله ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ (١) .

ومعنى ذلك : ان الطابع العام لسلوك الأئمة وتصرفاتهم هو الطابع البشري الطبيعي إلا في بعض الموارد

---

(١) ابراهيم - ١١ -

الاستثنائية يلجأ الأئمة الى المعجزة والتصرفات الغيبية بأذن الله تعالى ووفق حكمته .

ولكن البعض يتطرف فيضفي على جميع اعمال الامام وتصرفاته طابع الغيبية والاعجاز حتى في الاشياء البسيطة التي لا تخرج عن قدرة البشر وامكاناته !! حتى ليقدم لك حياة الامام وكأنها قطعة من الاعجاز والغيب !!

وحينما نعرض للناس حياة الامام كقطعة من الاعجاز وهالة من الغيب هل يمكننا بعد ذلك ان نطلب من الناس تقمص حياة الامام ، وتطبيق سلوكه ، ومتابعته في تصرفاته؟؟ .

كلا !

فسيجد الناس ان الامام مخلوق من نوع آخر لا يمكن للبشر تقليده . . . وهذه فكرة اصبحت شائعة لدى الناس فما ان تذكر لشخص متدين موقفاً لأحد الأئمة وتطالبه بالاقتداء به حتى يبادرك قائلاً : ذاك أمام معصوم اتريد مني ان اكون مثله ؟! .

وما ان تحتج على فرد بتصرف أو عمل امام حتى يرد

عليك بقوله : ذاك إمام يتصرف بأمر الله وبعلم الله فليس ظاهر عمله حجة عليّ !!

وهذه الفكرة الخاطئة نتيجة طبيعية لذلك الأسلوب الشائع الذي يبرز حياة الأئمة ، ويفسر تصرفاتهم بشكل اعجازي غيبي كامل . . .

وبالطبع لا يعني هذا الكلام تشكيكاً منا في معاجز الأئمة وكراماتهم وإنما نقول : لماذا تكون هذه المبالغة الخارجية في اضفاء الطابع الاعجازي الغيبي على كل حياة الأئمة ؟ .

ثم لماذا نعتمد على هذا الجانب اعتماداً كاملاً في اقناع الناس بمكانة الأئمة وجدارتهم ؟ .

اليست سيرة الأئمة وتعاليمهم وحكمهم وتوجيهاتهم كفيلة بتعريف مكانتهم العظيمة ؟ .

ان المعاجز والكرامات ليست هي الطريق الوحيد للايمان بالائمة بل ان الايمان بالائمة عن طريق ملاحظة حياتهم ودراسة آثارهم هي افضل درجة وارفع مستوى من الايمان بالأئمة عن طريق المعاجز والكرامات . . .

نحو فهم صحيح لمواقف الأئمة ..

ثالثاً : أما السمة الثالثة من سمات التاريخ المزيف لحياة الأئمة (عليهم السلام) فهي : سوء التفسير والفهم لتصرفات الأئمة وتحركاتهم .. فالأئمة هم قادة الأمة ، وحملة الرسالة وحماتها ... ويجب ان تفسر كل تصرفاتهم ، وتفهم كل تحركاتهم ، على اساس موقعهم القيادي ، وعلى ضوء مسؤوليتهم الرسالية ...

بيد ان البعض يحاول اختلاق المبررات العاطفية والشخصية لتفسير بعض مواقف الأئمة وتصرفاتهم .

فالامام الحسن بن علي (عليه السلام) لماذا صالح معاوية ابن أبي سفيان ؟ يجيبون : بأن الأمام أراد حقن الدماء والحفاظ على النخبة الصالحة من أهل بيته !!

فهل يمكن ان يكون هذا مبرراً مقبولاً بالنسبة لدور الامام القيادي ومسؤوليته الرسالية ، التي تفرض عليه ان يقيس كل حركاته وقراراته بمصلحة الأمة والرسالة ، لا بأي مقياس آخر ؟؟

والامام علي بن الحسين (عليه السلام) لماذا لازم البكاء والحزن على ابيه الحسين (ع) طيلة أيام حياته بعد عاشوراء ؟؟

انهم يفسرون ذلك تفسير شخصياً عاطفياً محضاً ، ففضاعة المصيبة ، وهول الحادثة ، فرضت على الامام هذا السلوك المأساوي الكئيب !!

لا أنه كان يستثير الناس ويذكرهم بفضائح السلطة الأموية الحاكمة التي حاولت التبرىء من الجريمة والهاء الناس عن احداثها !!

وحينما ينقل لنا التاريخ بعض الكلمات التي يتظاهر فيها الأئمة بعدم رضاهم عن الثورات العلوية التي تفجرت في عصورهم . . . يبادر البعض الى الاقناع بهذه الكلمات ، ويستنتجون منها خطأ الثوار العلويين وموقف الأئمة السلبي تجاه المعارضة !!

بل ان احد العلماء المحققين الكبار اعتبر تلك المواقف الظاهرية من الأئمة حجة ودليلاً على ان الأئمة يرفضون

الثورة والعنف ويربون ويؤدّبون شيعتهم على المسالمة والهدوء[1] .

في حين ان التأمل في ظروف صدور هذه الكلمات من الأئمة ، والدراسة المتكاملة لحياتهم توضح بجلاء : ان تلك الكلمات لم تكن إلا لهدف تكتيكي تفرضه ظروف المراقبة والارهاب من قبل السلطات والتي كانت تبحث عن اقل مستمسك لعلاقة الامام مع حركة المعارضة لتتخذه ذريعة للفتك بالامام والقضاء على مجالات تحركه .

لقد كان الأئمة في الواقع يقودون مسيرة الرفض والمعارضة ضد السلطات الظالمة والأوضاع الفاسدة . . . إلا ان الظروف فرضت عليهم اسلوباً معيناً للعمل ، وهو أسلوب التحرك والعمل من خلف الستار ، وعن طريق تربية الكوادر الثورية ودفعها الى مواجهة السلطات . دون ان يظهر للامام أي دور صريح ، أو تعثر السلطات على اي مستمسك تجاهه .

---

(١) عقائد الامامية ـ للمظفر .

ولذلك تجد عصر الائمة مليئاً بالثورات الشعبية التي يتزعمها اولاد الائمة وتلامذتهم واتباعهم :

ففي عهد الامام زين العابدين علي بن الحسن (عليه السلام) : ظهرت حركة التوابين وتفجرت ثورة المختار الثقفي .

وفي عهد الامام الباقر (عليه السلام) :ز ثار اخوه زيد بن علي بن الحسين وبعد مقتله ثار ولده يحي بن زيد .

وفي عهد الامام الصادق (عليه السلام) : حدثت ثورة عبد الله بن معاوية بن عبد الملك بن جعفر بن أبي طالب ، وبعده تفجرت ثورة محمد بن عبد الله ذي النفس الزكية من احفاد الامام الحسن بن علي ابن أبي طالب ، وفي نفس الوقت ثار اخوه ابراهيم بن عبد الله .

وفي عصر الامام الكاظم (عليه السلام) : حدثت ثورة الحسين بن علي شهيد فخ ، وثورة يحي وادريس بن عبد الله .

وفي عصر الامام الرضا (عليه السلام) : تفجرت ثورة محمد بن ابراهيم وابي السرايا ، ثم ثورة محمد الديباج

بن جعفر الصادق ، ثم ثورة علي بن محمد بن جعفر الصادق ، كما ثار ابراهيم ابن الامام موسى الكاظم .

وفي عصر الامام محمد الجواد (عليه السلام): ظهرت ثورة عبد الرحمن بن احمد من ابناء عم الامام الجواد ، وثورة محمد بن القاسم من احفاد الامام علي ايضاً .

وهكذا كان عصر الأئمة مليئاً بالثورات المضادة للظلم والجور والفساد .

والتاريخ وان كان لا ينقل لنا كل التفاصيل عن مدى علاقة الائمة بهذه الثورات وارتباطهم بزعمائها الثائرين ، ولكنه يحدثنا بايجاز خاطف عن مدح الأئمة وثنائهم على اكثر زعماء الثورات ، وتألم الائمة لمصارعهم ، بل ومشاركة الائمة اقتصادياً وتحفيز ابنائهم للانخراط في صفوف الثورة .

وفي مطاردة السلطات واضطهادهم للائمة بالسجن والقتل اكبر دليل على خطورة وجودهم على السلطات ، وإلا فما الذي يضر السلطة من أمام عابد زاهد ؟ .

بالأضافة الى ان الثائرين كلهم كانوا من أسرة الأئمة أو تلاميذهم واتباعهم[1] :

لماذا التاريخ المزيف ؟

والسؤال الآن هو : لماذا لا تتوفر أو لا تنتشر الصورة الحقيقية لحياة الأئمة ؟ وما هو سبب هذا النقص والتشويه في تاريخ الأئمة الذي يتداول على ألسن الخطباء وكتب السير والتاريخ ؟ .

في الواقع هناك عدة أسباب : لعدم توفر التاريخ الصحيح لحياة الأئمة من أهمها :

أولاً : موقف السلطات التاريخية من الأئمة .

فالأئمة كانوا يعملون على نشر المبادىء الاسلامية الصحيحة المناوئة لمسيرة الحكم ولسلوك الحاكمين .

وبعبارة اخرى كانوا يقودون جبهة المعارضة والرفض

---

(١) راجع للمؤلف : ائمة أهل البيت رسالة وجهاد .

لذلك الواقع المنحرف الذي كانت تعيشه الأمة في عهد تلك السلطات . فهم الـذين يغـذّون الثـورات ومن بيـوتهم ومدارسهم تخرج اكثر الثائرين . . .

لذلك فمن الطبيعي ان تحاول السلطات عزل الائمة ومنع افكارهم عن جماهير الأمـة . وان تضرب حول الأئمة وشيعتهم نطاقاً حديدياً من الارهاب والكبت .

وبسبب هذا الحصار السياسي والاعلامي والفكري الـذي فرضتـه السلطات على الائمـة ، ضاع الكثـير من تراثهم ، وأهمل تاريخهم .

ثانياً : عصور التخلف التي عاشتها أمتنا طوال هذه الفترة ، فقد انعكس هذا التخلف على ثقافة الأمة وطريقة قراءتها للتاريخ .

فكل جيل انما يكتب التاريخ بمنظاره الخاص وحسب واقعه ورؤاه ، ولأن الجيل السابق كان يعيش واقع التخلف والجمود وكانت رؤاه سلبية غير متفاعلة مع احداث الحياة ، لذا حينما كتب تاريخ الأئمة انعكست رؤاه وواقعه عـلى كتابته وتفسير احداثه .

فلأنه جيل استسلم للخوف والجبن وآثر السكوت والجمود ، فقد صار يبحث عن مبرر لموقف الانهزامي ، فاخفى جانب النضال والجهاد والثورة في حياة الأئمة ، بينما ابرز وبشكل مضخم جانب المأساة والألم والاضطهاد في حياتهم ، ليبرر بذلك واقعه وحياته الذليلة !!

ولأنه جيل انعزل عن مسرح الحياة ، واكتفى بالتفرج على الأحداث ، دون ان يكون له دور في صناعتها ، فقد فسر لنا احداث التاريخ تفسيراً قدرياً غيبياً ، لا دخل لتصرّفات البشر فيه !! فأرادة الله هي التي اسقطت الدولة الاموية لا نضال العلويين وثوراتهم !!

ومشيئة الله ارادت للائمة ان يصيبهم الاضطهاد والارهاب لا دورهم الثوري واتجاههم المناوىء للسلطات !

وهكذا وصلنا تاريخ الأئمة بهذا الشكل الخاطىء والذي يركز اهتمامه على مآسي الأئمة ومعاجزهم الخارقة فقط ! ، اما دورهم السياسي وحياتهم الاجتماعية وآراؤهم العلمية . فهذا ما لم يكن موضع الاهتمام [1] .

---

(١) المصدر السابق .

اين الطريق ؟

ولكن بعد ان اكتشفنا زيف التاريخ المتداول بين ايدينا عن حياة الأئمة فأين الطريق لمعرفة الوجه الحقيقي والصحيح لحياة الأئمة ؟ .

في الواقع :

ان على الخطباء والكتّاب ان يتعبوا انفسهم في البحث عن حياة الأئمة ، ودراسة تاريخهم ، ليقدموا لجماهير الأمة سيرة الأئمة كبرامج للحياة ، ومشاعل للهداية وخطط للتحرك . . .

وأن لا يختاروا لأنفسهم الكسل والرّاحة فيكتفون باجترار الروايات المعروفة ، وقضايا السيرة المتداولة . .

فالخطيب مثلاً يتحمل مسؤولية كبرى أمام الله ، اذا قصر في واجبه في البحث والتنقيب وبالتالي اعطاء التوجيه والرؤية الصحيحة للأمة . . .

وعلى الخطيب ان لا يراعي ويتملّق لبعض الوجهاء والشيوخ المتخلفين ثقافياً والذين لا يرضيهم ابتعاد الخطيب عن ادارة اسطوانة السيرة التي عهدوها !!

والا فسينطبق عليه ما قاله الامام زين العابدين (عليه السلام) لخطيب مجلس يزيد : ايها الخطيب انك اشتريت رضا المخلوق بسخط الخالق .

وعلى الواعين من ابناء جماهير الأمة : ان يتلقفوا الدراسات الموضوعية والخطابات والكتابات الرسالية التي تعطي الصورة الصحيحة ، والوجه الحقيقي لحياة الأئمة .

وان يقرأوا بأمعان وتدبر تراث الأئمة العظيم ، وتعاليمهم الحكيمة ، ليعرفوا من خلالها : ماذا يريد الائمة وماذا يهدفون ؟ وما هي خططهم وبرامجهم في الحياة ؟ وعلى ضوئها يستطيعون فهم مواقف الأئمة وقضايا حياتهم .

ومن اروع الكتب وافضلها في هذا المجال : كتابان يهمني ان اشجع كل مسلم واعٍ لقراءتهما ودراستهما :

الأول : نهج البلاغة : ويضم مجموعة من خطب أمير المؤمنين (عليه السلام) ورسائله وقضاياه وكلماته الحكيمة . . .

وهو في الواقع : (نهج الحياة) ودراسته ضرورية لكل مسلم يريد التعرف على حقيقة الاسلام ، وواقع حياة ائمة الأسلام .

ولكن : لأننا لا نسمع من نهج البلاغة إلا كلمات التزهيد ، وخطب الوعظ والتحذير من الموت والآخرة ، نسمعها في مجالس العزاء وفي فواتح الموتى لذلك ينظر اكثر شبابنا الى نهج البلاغة ، وككتاب تشاؤمي يصلح لفواتح الموتى ومواعظ القراء !!

اما في الحقيقة فنهج البلاغة تراث عظيم ، وثروة ضخمة تبرر اهميته في النقاط التالية :

١ ـ انه مصدر هام للكشف عن مفاهيم الاسلام وآرائه في جميع حقول الحياة ، فمن معرفة الله ومختلف قضايا العقيدة الى مبادىء الاخلاق الى قوانين الحرب ، الى تعاليم ادارية وسياسية ، الى رؤى اجتماعية واقتصادية . . .

٢ ـ انه مرآة صادقة تعكس بعض احداث التاريخ الاسلامي الأول ، فهو بمثابة مذكرات رجل صادق عاش الاحداث وشارك في صناعتها . . .

٣ ـ وهو بعد ذلك ثروة أدبية يفيض بالبلاغة والذوق الرفيع حتى قيل عنه (انه دون كلام الخالق وفوق كلام

المخلوقين) [1] .

والمفضل لشبابنا الأعزاء ان يبدأوا بنهج البلاغة من آخره حيث الكلمات الواضحة ، والجمل القصيرة ، التي لا تحتاج الى شرح أو تفسير .

الثاني : تحف العقول عن آل الرسول .

انه كتاب رائع وثمين جداً . الفه الشيخ الثقة الجليل الأقدم (ابو محمد الحسن بن علي بن شعبة الحراني) رحمة الله عليه من اعلام القرن الرابع .

يتضمن هذا الكتاب نخبة كبيرة من وصويا الرسول والأئمة (عليهم وعليهم افضل الصلاة والسلام) واقوالهم القصيرة الحكيمة . . بالترتيب والتسلسل ابتداء من الرسول الأعظم وانتهاء بالامام المهدي المنتظر . . .

وقد احسن المؤلف جداً اختيار تلك الوصايا والحكم فجزاه الله عن الاسلام والمسلمين خيراً . .

واخيراً فإن على جماهير الامة : ان ترفض التاريخ

---

(١) رؤى الحياة في نهج البلاغة للمؤلف .

المزيف وان تقاطع الخطباءز الذين يتاجرون به فيساهمون في تكريس تخلف الأمة وانحطاطها .

وان تلتف حول العلماء والخطباء والكتّاب الرساليين الذين ينشدون تقدم الامة ، وخدمة الرسالة ، وتقويض ثقافة التخلف ، لتحل محلها ثقافة الاسلام الرسالية الصحيحة .

وفقنا الله جميعاً لمعرفة حقيقة تاريخ الائمة والاقتداء بهم ، انه ولي التوفيق .

حسن الصفار

الجزيرة العربية / القطيف ١٣٩٧/١١/٢٤ هجري